# موقف تفسير المنار من علوم القرآن الكريم

إعداد

أشرف محمد علي

# موقف تفسير المنار من علوم القرآن الكريم

إعداد

أشرف محمد علي

**الملخص**

لقد تعرض صاحبا تفسير "المنار" لمباحث علوم القرآن، ومن أهمها المكي والمدني، ويبدو ذلك عند بداية تفسير كل سورة، فإنه يحدد نوعها مكية أم مدنية، ثم يذكر الفرق بين السور المكية والمدنية مبينًا خصائص أسلوب كل منهما، ثم أشار أيضًا إلى اختلاف العلماء في المكي والمدني من السور، كما يتفق مع رأي الجمهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، ويعتمد صاحب المنار في بيان المكي والمدني من السور على المأثور من أقوال الصحابة والتابعين، ذلك أن هذا العلم ليس للرأي والاجتهاد فيه مجال؛ كما تعرض لفواتح السور وهي الحروف المقطعة التي افتتح الله سبحانه بها بعض السور في القرآن الكريم واعتبر أنها على الأرجح أسماء لتلك السور المبتدئة بها، والحكمة من افتتاح السور بها تنبيه السامع، وأنها ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام؛ كما تعرض لمبهمات القرآن فمن المعروف أن الله سبحانه وتعالى أبهم في القرآن أشياء واستأثر بعلمها ولم يبينها، وكان منهجه فيها الوقوف عند النص القطعي لا تتعداه لذلك لا يجب أن نبحث عنها. لأن علم المبهمات مرجعه النقل المحض بأسانيد صحيحة، ولا مجال للرأي فيه؛ ولقد تعرض تفسير المنار لعلم المناسبات وجعل الوحدة الموضوعية بين الآيات والسور أصلاً من أصول التفسير الذي لا يمكن الاستغناء عنه، ولو تعارض مع أسباب النزول أو أقوال المفسرين فإن السبق له، ولا عبرة بما سواه مما جعل تفسير المنار مبدعاً في منهجه في المناسبات بين الآيات والسور.

**Summary:**

qadam tafsir almanar lilbahithin fi eulum alquran , wa'ahamihim almakiyu walmadinat , wayabdu 'anah fi bidayat tafsir kuli surat yuhadid nawe alsuwrati. alsuwrat makiyatan 'aw madaniatan , thuma yadhkur alfarq bayn alsuwrat almakiyat walmadaniat , mwdhaan khasayis 'uslub kulin minhuma , thuma 'ashar aydaan 'iilaa aikhtilaf aleulama'i. yatafiq mae ray aljumhur 'ana almakiyiyn lam yanziluu qabl alhijrat , walmadaniuwn lam yanziluu baedaha , wayatamad sahib. almanar fi bayan almakiyi walmadin min alsuwar ealaa almathur min 'aqwal sahabat waltaabiein , tuwwn 'ana hadha aleilm lilraay waljatihad fih majali; kama 'azhar alhuruf almaksurat alati fatahaha allah taealaa bibaed huruf alquran alkarim , waietabar 'anaha ealaa al'arjah 'asma' tilk alhuruf alati bada'at biha , walhukm bifath albab hu: hadhar almustamiei , wa'anah la maenaa laha ghayr 'asma' tilk alhuruf alati tatruk alkalam ; kan merwfan eanha 'ana alquran almaeruf eanha kan merwfan eanha. laein eilm almubhimat marjieuh alnuqat almahd biasanyd sahihat wala majal lilraay fihi; werad tafsir almanar lieilm al'ahdath wajael

alwahdat almawdueiat bayn alayat walsuwrat aslaan min mabadi altafsir alati la yumkin tajahuluha , hataa wa'iin kanat tataearad mae 'asbab alnuzul 'aw 'asbab alwahi. 'aqwal almufasirin , li'anaha al'uwlaa , wala mithal ealaa ghayr ma jaeal tafsir almanar drwryaan fi manhajih fi al'ahdath bayn alayat walsuwrati.

**تمهيد:**

لقد تعرض محمد رشيد رضا خلال تفسير "المنار" لمباحث علوم القرآن، وهي

المباحث المتعلقة بكتاب الله عز وجل من حيث ترتيبه وأسباب نزوله، مكيه ومدنيه وناسخه ومنسوخه، وإعجازه إلى غير ذلك من المباحث.

ومن أهم المباحث التي أشار إليها تفسير المنار

**المطلب الأول**

**موقفه من المكي والمدني**

أولى العلماء عناية كبيرة بتحقيق المكي والمدني، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة

سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان وأسلوب الخطاب المتبع؛ وللعلماء في تعريفها ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها بنى على اعتبار خاص[1]

**الأول** : اعتبار زمن النزول : فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فما نزل بعد الهجرة ولو بمكة أو عرفة مدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[2]، فإنها نزلت في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.

**الثاني:** اعتبار مكان النزول: فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها كمني وعرفات

والحديبية، والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد وقباء.

**الثالث :** اعتبار المخاطب : فالمكي ما كان خطابًا لأهل مكة، والمدني ما كان خطابًا لأهل المدينة[3]؛ والرأي الأول هو الرأي الراجح الذي عليه جمهور العلماء.

واهتم صاحب المنار كغيره من المفسرين ببيان المكي والمدني من السور، ويبدو ذلك عند بداية تفسيره لكل سورة، فإنه يحدد نوعها مكية أم مدنية.

مثال ذلك عن تفسيره سورة الفاتحة حيث يقول: "هذه السورة مكية وآياتها سبع.

والفرق بين السور المكية والمدنية هو أن المكية أكثر إيجازًا لأن المخاطبين بها هم أبلغ العرب وأفصحهم، وعلى الإيجاز مدار البلاغة عندهم، ثم إن معظمها تنبيهات وزواجر وبيان لأصول الدين بالإجمال[4].

وأما السور المدنية ففي أسلوبها شئ من الإسهاب، ولا سيما في مخاطبة أهل الكتاب لأنهم أقل بلاغة وفهمًا من العرب الأصلاء – ولا سيما قريش– وما فيها من الكلام في أصول

الدين أكثر محاجة لهم – لأهل الكتاب– ونعي عليهم، وإثبات لتحريفهم ما نزل إليهم، وابتداعهم فيه وإعراضهم عن هدايته، ونسيانهم حظًا مما ذكروا به ودعوة إلى التوحيد الخالص توحيد الألوهية والربوبية، وبيان لكون الإسلام الذي جاء به القرآن، هو دين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[5].

فنلحظ أنه حدد نوعية السورة، ثم ذكر الفرق بين السور المكية والمدنية مبينًا

خصائص أسلوب كل منهما، ثم أشار أيضًا إلى اختلاف العلماء في المكي والمدني من السور، كما يتفق مع رأي الجمهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها؛ ويعتمد صاحب المنار في بيان المكي والمدني من السور على المأثور من أقوال الصحابة والتابعين، ذلك أن هذا العلم –المكي والمدني – من العلوم النقلية التي يعتمد في معرفتها على السماع والنقل الصحيح من الصحابة والتابعين الموثوق بهم، وليس للرأي والاجتهاد فيه مجال.

ومما يدل على معرفة صاحب المنار العميقة بالمكي والمدني من القرآن، فهو يعرض الأقوال ثم يفاضل بينها مرجحًا بعضها على بعض بما يتضح له من وجه الحق فيها معتمدًا في ذلك على مآثر السلف ومروياتهم.

ومثال ذلك في تفسير سورة الأنفال حيث قال: "سورة الأنفال مدنية كلها كما

روي عن الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء وعبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت. وقال ابن عباس أنها نزلت في بدر وفي لفظ تلك سورة بدر. وقيل أنها مدنية إلا آية( **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ) (6)

فقد روى البزار عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعلى هذا وضعت في سورة الأنفال وقرئت مع آياتها التي

نزلت في التحريض على القتال في غزوة بدر لمناسبتها للمقام. وروي عن مقاتل استثناء قوله

**( وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ )** [7]، لأن موضوعها ائتمار قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم قبيل الهجرة بل في الليلة التي خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر رضى الله عنه بقصد الهجرة وباتا في الغار، وهذا استنباط من المعنى وقد صح عن ابن عباس أن الآية نفسها نزلت في المدينة. وزاد بعضهم عنه استثناء خمس آيات أخرى[8] بعد هذه الآية أي إلى الآية( 35) للمعنى الذي ذكرناه آنفًا وهو أن موضوعها حال كفار قريش في مكة وهذا لا يقتضى نزولها في مكة، بل ذكر الله بها رسوله بعد الهجرة. وكل ما نزل بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرًا فهو مدني وفي هذا المثال نلاحظ اعتماده على أقوال الصحابة والتابعين في تحديده لنوعية السورة بأنها مدنية .

**المطلب الثاني**

**موقفه من فواتح السور**

فواتح السور هي الحروف المقطعة التي افتتح الله سبحانه بها بعض السور في القرآن الكريم، ومن ثم جاءت تسميتها بفواتح السور، مثل "الم"، "المر"، "حم" وغيرها، وقد تباينت آراء العلماء في حقيقة تفسيرها وبيان المراد منها، وقد تعرض تفسير المنار لهذه الحروف المقطعة الواردة في أوائل بعض السور وموقفه منها أن هذه الحروف المقطعة على الأرجح أسماء لتلك السور المبتدئة بها، والحكمة من افتتاح السور بها تنبيه السامع إلى ما سيلقى إليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء فهي كأداة الافتتاح "ألا"

و "ها" التنبيه، وأنها ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام [9]، فعند تفسير سورة البقرة، قال الإمام محمد عبده **(ألم)**[10]، هو وأمثاله أسماء للسور المبتدئة به، ولا يضر وضع الاسم الواحد مثل "ألم" لعدة سور، لأنه من المشترك الذي يعين معناه اتصاله بمسماه ؛ وحكمة التسمية والاختلاف في (ألم) و (ألمص) نفوض الأمر فيها إلى المسمى سبحانه وتعالى، ويسعنا في ذلك ما وسع صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم، وليس من الدين في شيء أن يتنطع متنطع فيخترع ما يشاء من العلل، التي قّلما يسلم مخترعها من الذلل[11]، ويرى بعضهم أنه لا سبيل إلى معرفة معاينها باعتباره من المتشابه الذي لا يعلم حقيقة أمره إلا الله، كما بينت الآية الكريمة( **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)** "[12]، ومنهم من يرى أن تلك الحروف أسماء للقرآن، أو أنها افتتاح كلام أو أنها ضرب من ضروب التنبيه، أو أنها سر لا يمكن الوصول إلى حقيقة معناه وقيل أنها للإعجاز.

**المطلب الثالث**

**موقفه من مبهمات القرآن**

من المعروف أن الله سبحانه وتعالى أبهم في القرآن أشياء واستأثر بعلمها ولم يبينها، لذلك لا يجب أن نبحث عنها، لأن علم المبهمات مرجعه النقل المحض بأسانيد صحيحة، ولا مجال للرأي فيه، وقد تعرض تفسير المنار لمبهمات القرآن الكريم ومنهجه في مبهمات القرآن الوقوف عند النص القطعي لا تتعداه وإثبات أن الفائدة لا تتوقف على سواه، ولذلك كان الامام محمد عبده لا يتجاوز في شرحها ما يحتمله مضمون النص أو ممسكًا عن تعيينها وتحديدها لعدم إسهام ذلك في تحقيق هداية القرآن أو عدم جدوى الفائدة من ذكرها، ومن الشواهد التي توضح ذلك :

**المثال الأول** : ما ذكره في قوله تعالى ( **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ) [13]، قال محمد رشيد :"ذلك العمل الذي أمرهم به موسى هو قتل أنفسهم، والقصة في التوراة التي بين أيديهم اليوم: دعا موسى إليه من يرجع إلى الرب، فأجابه "بنولاوى" فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضًا ففعلوا، وقتل في ذلك اليوم "نحو ثلاثة آلاف" وقال مفسرنا كغيره : إن الذين قتلوا في ذلك اليوم سبعون ألفًا والقرآن لم يعين العدد، والعبرة المقصودة من القصة لا تتوقف على تعيينه فنمسك عنه. كذا قال الأستاذ الإمام، وهذا مذهبه في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعداه ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه[14]

**المثال الثاني** : ( **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي**

**تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝)** [15]، قال الإمام محمد عبده :"نحن لا نحتج ما وراء مدركات الحس والعقل إلا بالوحي الذي جاء به نبينا عليه السلام وإننا نقف عند هذا الوحي لا نزيد ولا ننقص كما قلنا مرات كثيرة، وقد أبهم الله تعالى ههنا أمر النفس التي خلق الناس منها وجاء بها نكرة فندعها على إبهامها[16].

يلاحظ هنا أن الإمام محمد عبده كان يلتزم الصمت والسكوت في مبهمات القرآن لأنه ليس هناك فائدة من البحث عنها كما هو مذهب السلف في ذلك، ولكنه لم يلتزم الوقوف عند النص القطعي، بل نجده يخالف منهجه غير مرة فيخوض في مبهمات القرآن مستعينًا بما عرف من مستحدثات العلوم على شرحها وتوضيحها في منهج تفسيره عن موقفه من العلم الحديث.

مما تقدم ذكره نلاحظ اهتمام تفسير المنار بمباحث علوم القرآن فهو لا يختلف عن السواد الأعظم من كتب التفسير السابقة.

**المبحث الثاني**

**علم المناسبات والاهتمام به**

المناسبات في اللغة:

قال في معجم المقاييس: " النون والسين الباء كلمة واحدة، قياسها اتصال

شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به[17]

وهي تشتمل كل اتصال، سواء كان ذلك من وجه أو من أوجه متعددة، فيدخل فيها كل تعلق أو اتصال أو تشاكل أو ترابط بين شيئين بأي وجه من الوجه[18]

وعلم مناسبات القرآن : علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض [19].

**موقف تفسير المنار من علم المناسبات:**

بعد استقراء كامل لتفسير المنار يتضح أن الأستاذ الإمام وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ليسا من المؤيدين للوحدة الموضوعية " المناسبات " بين الآيات والسور فحسب، بل إنهما جعلا الوحدة الموضوعية بين الآيات والسور أصلاً من أصول التفسير الذي لا يمكن الاستغناء عنه، ولو تعارض مع أسباب النزول أو أقوال المفسرين فإن السبق له، ولا عبرة بما سواه.

فحرص الإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا واهتمامهما الشديد بالتناسب بين الآيات والسور بلغ درجة الإفراط في ذلك، إذ حاولا أن يثبتا أن في كل الآيات تناسبًا وتناسقًا مما أدى إلى رفضهما التفسير المأثور ومخالفة

جمهور المفسرين، وأيضًا إلى ذم رواة أسباب النزول لأنهم يفصلون ويجعلون لكل آية سببًا مستقلاً.

ويعتبر هذا من التكلف الممقوت الذي كرهه العلماء في تعسف المناسبة فلا حاجة أو ضرورة أن يثبت المفسر أن بين كل آية وآية مناسبة أو اتصال، لأن القرآن نزل مفرقًا وعلى حسب الحوادث المختلفة، فتارة تنزل آية للتحريم وأخرى للتحليل. وهكذا الحال في كل السور والآيات فإذا وجدت المناسبة كان ذلك وإن لم توجد فلا حاجة إلى التكلف في إثباتها،لأن ذلك مما يفسد التفسير ويصرف الآيات عن شؤونها ويفقدها مضمونها.

الأمر الذي جعل تفسير المنار مبدعاً في منهجه في المناسبات بين الآيات والسور، منتقداً في مواطن أخرى، وسأسير مع هذين الاتجاهين مبيناً ما أصل إليه من نتائج مؤيداً لما أقول بأمثلة توضيحية في المحورين التاليين:

**أولاً: منهج المنار في علم المناسبات:** لقد أهتم تفسير المنار بعلم المناسبات اهتماماً بالغاً وصل إلى مرحلة الإفراط، وأستطيع أن أوجزه في النقاط التالية:

- يعد علم المناسبات أصلاً من أصول التفسير عند الإمام وتلميذه: يقول الشيخ محمد رشيد رضا في معرض حديثه عن أهمية علم المناسبات بين السور والآيات : ولعمري إن وجود الاتصال بين الآيات وما قبلها من دقائق المناسبات لهي ضرب من ضروب البلاغة، وفن من فنون الإعجاز، إذا أمكن للبشر الإشراف عليه، فلا يمكنهم البلوغ إليه [20]، ويقول في موضع آخر : وهذا الضرب من

البيان ما امتاز به القرآن على سائر الكلام، فإنك لترى فيه فنوناً من الاستدراك والاحتراس قد جاءت في خلال القصص وسياق الأحكام، تقرأ الآية في حكم من الأحكام أو عظة من المواعظ أو واقعة تاريخية، فيها عبرة من العبر، فتراها مستقلة بالبيان ولكنها باتصالها بما قبلها قد أزالت وهماً أو تممت حكماً، قال الأستاذ الإمام: وسنعطي هذا الموضوع حقه من البيان [21].

- **الوحدة الموضوعية بين الآية وسابقتها:** يشير صاحب المنار دائماً إلى الوحدة الموضوعية بين الآية وما قبلها، ويظهر ذلك عند تفسير قوله تعالي( **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ) [22]، حيث يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " ووجه المناسبة والاتصال بين هذه الآية وما قبلها ظاهر على هذا التفسير فإن فيها إبطال ما كان عليه أهل الملل السابقة من اعتقاد أن العبادة لله تعالى، لا يصح أن تكون إلا في الهيكل والمعبد المخصوص، وفي إبطال هذا إزالة ما عساه يتوهم من وعيد من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، من أنه وعيد على إبطال العبادة في المواضع المخصوصة لأنه إبطال لها بالمرة، إذ لا تصح إلا في تلك المواضع، فهذه الآية تنفي ذلك التوهم من حيث تثبت لنا قاعدة من أهم قواعد الاعتقاد، وهي أن الله تعالى لا تحده الجهات، ولا تحصره الأمكنة... ولا تنحصر عبادته في الهياكل والمساجد، وإنما ذلك الوعيد لانتهاك حرمات الله وإبطال نوع من أنواع عبادته، وهو العبادة

الاجتماعية التي يجتمع لها الناس في أشرف المعاهد على خير الأعمال التي تطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم[23].

وكذلك أيضاً عند تفسير قول الحق سبحانه : ( **لَّتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ) [24]، يقول الأستاذ الإمام : " وجه الاتصال بين هاتين الآيتين: هو أن ما ذكر في الآية السابقة من البلاء الذي يصاب به المؤمنون إنما يصابون به لأخذهم الحق ودعوتهم إليه، محافظتهم في الشدائد عليه، فناسب بعد ذكر ذلك البلاء الذي أخذ الله به المؤمنين، ووطن عليه نفوسهم ليثبتوا ويصبروا أن يذكر لهم مثل الذين خلوا من قبلهم، إذ أخذ عليهم الميثاق ببيان الحق، فكان من أمرهم ما استحقوا به الوعيد المذكور في الآية، فهو يذكر المؤمنين بعد ذلك، كأنه يقول لهم: إنكم إذا كتمتم ما أنزل عليكم يكون وعيدكم كوعيدهم[25].

- **الوحدة الموضوعية في السورة الواحدة:** يشير صاحب المنار إلى وجوه الاتصال والربط بين السورة الواحدة ، فنجد الأستاذ الإمام وتلميذه يربطان بين مجموعة آيات في السورة الواحدة لإظهار مدى المناسبة بينها، دلالة على إعجاز القرآن الكريم في نظمه،

وهاك أمثلة على ذلك: عند تفسيره لقوله تعالي : (**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**)[26]

**● ذكر المناسبة بينها وبين تسع آيات بعدها.**

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " ذكر الأستاذ الإمام رحمه الله في وجوه الاتصال بين هاتين الآيتين وما قبلهما صفوة ما قاله المفسرون موضحاً، ونذكر صفوة ما قاله كذلك : الكلام في الأموال بدأ بالترغيب في الصدقات والإنفاق في سبيل الله، وذلك محض الرحمة، و ثنى بالنهي عن الربا الذي هو محض القساوة، ثم جاء بأحكام الدين والتجارة والرهن، أقول: وهي محض العدالة، فقد أمرنا الله ببذل المال حيث ينبغي البذل، وهو الصدقة والإنفاق في سبيله، وبتركه حيث ينبغي الترك، وهو الربا، وبتأخيره حيث ينبغي التأخير وهو إنظار المعسر، وتحفظه حيث ينبغي الحفظ وهو كتابة الدين والإشهاد عليه وعلى غيره من المعاوضات، وأخذ الرهن إذا لم يتيسر الاستيثاق بالكتابة والإشهاد، ذلك بأن من يضيع ماله بإهمال المحافظة عليه لا يكون محموداً عند النا س ولا مأجوراً عند الله[27].

وعند تفسيره لقوله تعالي **( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [28]، يقول الأستاذ الإمام: " وجه الاتصال بين هذه الآيات وما قبلها، أن ما قبلها في بيان أن الله نصير المؤمنين وهم أذلة، وأنهم إنما نصروا بتقوى الله وامتثال الأمر والنهي، وكذلك خذلوا في أُحد عند المخالفة والطمع في الغنيمة، وقد جاء هذا بعد النهي عن اتخاذ البطانة من اليهود، وبيان أنه لا يضر المؤمنين كيد هؤلاء اليهود ما اعتصموا بالصبر والتقوى ..، فكان ترتيب الآيات هكذا : نهاهم عن اتخاذ البطانة من اليهود وأمثالهم من المشركين بشروطها ....،

ثم بين لهم ما يتقون به ضررهم وشر كيدهم، وهو تقوى الله وطاعته، وطاعة رسوله، ثم ذكرهم بما يدل على صدق ذلك طرداً وعكساً بذكر وقعة بدر ووقعة أحد، ثم نهاهم عن عمل آخر من شر أعمال أولئك اليهود ومن اقتدى بهم من المشركين وأشدها ضرراً هو أكل الربا أضعافاً مضاعفة[29].

ويبدو أن الإمام محمد عبده كان مسرفًا في إثبات التناسب بين الآيات، الأمر الذي أشار إليه محمد رشيد على وجه الاعتراض حيث يقول عند تفسير قوله تعالى( **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) [30]، قلنا إن السياق قد انتقل من الكلام في بنى إسرائيل تجاه القرآن ودعوة الإسلام ورسوله إلى الكلام في شؤون المؤمنين معهم ومع النصارى والوثنيين، وشيخنا لا يزال يجعل السياق واحدًا، غير ملتفت في التنا

**الحواشي:**

**([1]) البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة – بيروت،ط1972م 1/ 178، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،مطبعة البابي الحلبي،ط4 1978 ، 28/1.**

**([2]) سورة النساء آية ( 58).**

**([3]) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر 63/2**

**المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) ، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرجان ، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور، الناشر: دار الفكر – عمان، الأردن ، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م ،عدد الأجزاء: 2**

**([4]) تفسير المنار 32/1.**

**([5]) تفسير المنار 1/ 33، ولقد أشار إلى الإيجاز في مخاطبة أهل مكة والإسهاب في مخاطبة أهل المدينة الجاحظ واستشهد على إشاريته بقول الله عزو جل من سورة آل عمران (يا أهل الكتاب تعالوا..).**

**([6]) سورة الأنفال آية ( 64) .**

**([7])سورة الأنفال آية ( 30) .**

**([8])أما القرطبي فقال: إنها مدنية إلا سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال: 30]، إلى آخر السبع آيات، انظر تفسير القرطبي جزء 4، ص 2796.**

**([9]) تفسير المنار 296/154,8/3.**

**([10]) سورة البقرة آية (1).**

**([11]) تفسير المنار 122/1**

**([12]) سورة آل عمران آية (7).**

**([13]) سورة البقرة آية( 54)**

**([14]) تفسير المنار 320/1**

([15]) سورة النساء آية (1).

([16]) تفسير المنار 324/4

([17])معجم مقاييس اللغة ابن فارس423/5، مادة نسب

([18])التعريفات: الجرجاني ص 38

([19])المناسبات في القرآن الكريم، رسالة ماجستير للباحث/ عبد الله القرني، ص 15

([20]) تفسير المنار 205/1

([21]) نفس المرجع السابق 358/1

([22]) سورة البقرة آية 115

([23]) تفسير المنار 258/1

([24]) سورة آل عمران آية (187,186).

([25])تفسير المنار 228/4.

([26]) سورة البقرة آية 274.

([27]) تفسير المنار 98/3.

([28]) سورة آل عمران آية (130).

([29]) تفسير المنار 100/4.

([30]) سورة البقرة آية( 118)